

أولية النبي ﷺ في الآخرة
- جمعا ودراسة -

The Seniority of the Prophet –peace and blessing upon him- In The
Hereafter –Compilation and Study-

10.35781/1637-000-121-004

د. بسام بن مريزيق بن مرزوق الحجيلي*

*الأستاذ المساعد بقسم العقيدة في كلية العقيدة والدعوة
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المُلَخَّصُ

هدف البحث الى:

- 1- استقصاء المواقف التي ثبتت فيها أولية النبي ﷺ في الآخرة على غيره من الأنبياء والرسل.
- 2- تحرير بعض مسائل الأولية في الآخرة التي حصل فيها لبس، كمسألة من أول من يفيق بعد الصعق.

منهج البحث: "المنهج الاستقرائي والتحليلي"

خطة البحث: يتألف هذا البحث من تمهيد ومطالب أربعة، وقد تم في التمهيد ذكر أهمية جمع ودراسة مسائل الأولية عموماً وعناية أهل العلم بذلك، وأما مطالب البحث فهي أربعة: الأول: أولية النبي ﷺ عند البعث والنشور وخروج الناس من القبور، والثاني: أولية النبي في الشفاعة العظمى في الموقف،

نتائج البحث:

والثالث: أولية النبي ﷺ عندما ينصب الصراط فوق جهنم ويعبره الناس، والرابع: أولية النبي ﷺ في استفتاح باب الجنة لدخول أهلها فيها.

1- أن دراسة مسائل الأولية في أي علم العلوم مما ينبغي الاهتمام به لضبط مسأله.

2- أن غالب مواقف الآخرة تكون الأولية فيها للنبي ﷺ لما له من منزلة رفيعة عند الله تعالى.

3- أن الأولية الثابتة في الأدلة للنبي ﷺ تكون في أربعة مواقف -بعد البحث والتتبع والاستقراء-

الكلمات المفتاحية: (الأولية - الآخرة- أول- الصعق-الصراط-شفيح).

The Seniority of the Prophet –peace and blessing upon him- In The Hereafter –Compilation and Study-

Dr. Bassam bin Murayziq bin Marzouq Al-Hejaili*

*Assistant Professor in Department of Doctrine
at the College of Doctrine and Da'wah at the Islamic University of Madinah

Abstract

Objective of the Research:

1. Tracking the situations where the seniority of the Prophet –peace and blessing upon him- is confirmed over other Prophets and Messengers in the hereafter.
2. Drafting out some issues of seniority in the hereafter that are ambiguous, like the first person to regain conscience after the shock.

Methodology of the Research: “The inductive analytical methodology”.

Research Plan: This research includes a preface and four topics, the preface included the mention of the importance of compiling and studying the issues of seniority generally and the attention given to it by the scholars, and in the topics of the research where are: the first: the seniority of the Prophet –peace and blessing upon him- during resurrection and convergence and the when people start coming out of the graves, the second: the seniority of the Prophet during the great intercession during the assembly, the third: the seniority of the Prophet –peace and blessing upon him- when the bridge would be laid on top hellfire and people start to cross it, and the fourth: the seniority of the Prophet –peace and blessing upon him- during the opening

of the gate of the paradise for its dwellers to enter.

Findings of the Research:

1. That the study of issues of seniority in any field of knowledge is one of the matters that should be prioritized for the mastery of its issues.
2. That seniority in most of the scenes of the hereafter belongs to the Prophet –peace and blessing upon him-, due to his esteemed position by Almighty Allah.
3. That the confirmed seniority with proofs that belong to the Prophet –peace and blessing upon him- would be in four scenes –after thorough finding, tracking and induction-.

Keywords: Seniority – first – shock – bridge – intercessor.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن الله تعالى قد بعث نبيه محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل، وخصه بما لم يخص به أحداً قبله من أنبيائه ورسله؛ حيث أنزل عليه أحسن كتبه، وشرع له أفضل شرائعه، وختم به أشمل رسالاته، وخصه في الآخرة بالمقام المحمود، واللواء المعقود، وأعظم حوض مورود، وجعل أمته خير الأمم وأكثرها عدداً وأولها دخولاً إلى الجنة، إلى غير ذلك من الخصائص والفضائل التي يصعب عدّها ويشق حصرها.

ولعظيم منزلة النبي ﷺ فقد اجتهد العلماء منذ القرون الأولى في الجمع والتأليف والكتابة والبحث في كل ما يتعلق به ﷺ من الشمائل والخصائص والدلائل؛ أداءً لبعض حقوقه ﷺ على أمته، وبيانا لفضله ومنزلته، وليكون ذلك نبراساً ومنهجاً تسير عليه أمته من بعده.

ومما خص الله به نبيه ﷺ على سائر الخلق أن جعل له الأولوية في مواقف عظيمة من عرصات القيامة، وهذه الأولوية قد نص عليها ﷺ في أحاديث متعددة، كما هو مسطر في كتب السنة.

ولهذا رأيت أن يكون هذا البحث في جمع ما صح من تلك الأولوية ودراستها دراسة عقدية، وقد سمته بـ: "أولية النبي ﷺ في الآخرة - جمعا ودراسة".

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد، والإلهام إلى طريق الهدى والرشاد.

■ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتلخص أهمية الموضوع وأسباب اختياره في أمور، منها:

- 1- أن هذا الموضوع متعلق بخير الخلق نبينا محمد ﷺ، ودراسة كل أمر يتعلق بالنبي ﷺ هو من أشرف العلوم وأزكاها.
- 2- أن له تعلقاً بالركن الرابع من أركان الإيمان، وهو: الإيمان بالرسول، والإيمان بالنبي ﷺ وبكل أمر يتعلق به في الدنيا والآخرة هو جزء من الإيمان بالرسول.
- 3- أنه متعلق بمسائل اليوم الآخر؛ وهو أحد أركان الإيمان الستة.

- 4- أنه متعلق بالإيمان بالغيب الذي تقوم عليه أركان الإيمان، والذي هو أعظم صفات عباد الرحمن.
- 5- أن دراسة أولية النبي ﷺ في الآخرة جزء من دراسة خصائص النبي ﷺ التي اهتم بها أهل العلم وألّفوا فيها مؤلفات كثيرة.
- 6- أن جمع ودراسة مسائل الأولية قد اهتمّ به العلماء منذ القرون الأولى وألّفوا فيها كتباً؛ وذلك لأهميته في جمع المتفرق وتحريره وتدقيقه، ويأتي هذا البحث على غرار ما سار عليه أهل العلم في هذا الباب.
- 7- أن جمع مادة هذا الموضوع من المطولات ودراسته في بحث مستقل؛ فيه تيسير على الباحث والقارئ عند الحاجة إليه.
- 8- عدم وجود بحث مختصّ دقيق -حسب علمي- تمت فيه دراسة أولية النبي ﷺ في الآخرة دراسة تفصيلية مستقلة.
- 9- وجود مادة علمية كافية في هذا الموضوع، وهذا بلا شك محفّز وباعث على الكتابة فيه.

■ أهداف البحث:

- 1- استقصاء المواقف التي ثبتت فيها أولية النبي ﷺ في الآخرة على غيره من الأنبياء والرسل.
- 2- تحرير بعض مسائل الأولية في الآخرة التي حصل فيها لبس، كمسألة من أول من يفيق بعد الصعق.
- 3- تمييز الصحيح من الضعيف مما ورد في الأولية، سواء فيما يتعلق بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء وغيرهم.

■ حدود البحث:

يقتصر في هذا البحث على جمع الأدلة الصحيحة التي نصّ فيها النبي ﷺ على أوليائه في الآخرة، وليس له تعلق بدراسة أولية غير النبي ﷺ أو دراسة خصائص النبي ﷺ عموماً في الآخرة.

■ مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في وورود أدلة وآثار كثيرة في الأولية منها الصحيح والضعيف سواء فيما يتعلق بالنبي أو غيره من الأنبياء أو غير الأنبياء، وكذلك حصل لبس فيها فهم بعض أحاديث الأولية وفي التوفيق فيما بينهما، فهذا البحث يعالج هذه المشكلات.

■ أسئلة البحث:

السؤال الرئيس: ما هي مواقف الآخرة التي ثبتت فيها الأولية للنبي ﷺ؟

ويتفرع منه عدة أسئلة، وهي:

ومن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة؟

ومن أول شافع ومشفع في الآخرة؟

ومن أول من يفيق بعد الصعق في موقف القيامة؟

ومن أول من يجوز الصراط؟

ومن أول يستفتح باب الجنة؟

■ خطة البحث:

يشتمل البحث على تمهيد، وأربعة مطالب، وخاتمة، وفهارس علمية.

• التمهيد: وفيه: أهمية دراسة مسائل الأوليَّة وعلاقته بعلم الاعتقاد.

المطلب الأول: أوليَّة النبي ﷺ عند النفخ في الصور والبعث من القبور.

المطلب الثاني: أوليَّة النبي ﷺ في الشفاعة في موقف القيامة.

المطلب الثالث: أوليَّة النبي ﷺ عندما يُنصَّب الصراط.

المطلب الرابع: أوليَّة النبي ﷺ في استفتاح باب الجنة والشفاعة لأهلها في دخولها.

• الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

فهرس المصادر والمراجع.

■ منهج البحث:

أما المنهج الذي سرتُ عليه في هذا البحث فهو المنهج "الاستقرائي" والمنهج "التحليلي"، وقد

سلكت في هذا البحث الطريقة الآتية:

- 1- جمعتُ المادة العلمية المتعلقة بأولِيَّة النبي ﷺ في الآخرة، ثم قسمتها على مطالب حسب حاجة البحث.
- 2- أوردت الأدلة الصحيحة الواردة في أولِيَّة النبي ﷺ، ثم أتبع ذلك بذكر كلام أهل العلم في كل مسألة، من شرح وتقرير ونحو ذلك.
- 3- عزوتُ الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها من القرآن الكريم، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني.
- 4- عزوتُ الأحاديث الواردة في البحث إلى مواضعها من كتب السنَّة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيتُ بعزوه إلى موضعه من الصحيح، وإن لم يكن في الصحيحين عزوته إلى كتب السنَّة الأخرى، مع ذكر حكم علماء الحديث عليه بالتصحيح أو التحسين أو التضعيف.
- 5- وثَّقتُ النصوص من مصادرها.
- 6- ترجمتُ ترجمة موجزة للأعلام غير المشهورين الذين ورد ذكرهم في البحث؛ في أول موضع ورد فيه اسم العَلَم.
- 7- التزمتُ بعلامات الترقيم وضبطتُ ما يحتاج إلى ضبط.
- 8- ذيلتُ البحث بفهارس علمية تُسهِّل الوقوف على جُزئِيَّات البحث على النحو المبين في الخطَّة.

التمهيد :

وفيه : أهمية دراسة مسائل الأولوية ، وعلاقته بعلم الاعتقاد

التمهيد :

مما لا شك فيه أن دراسة مسائل الأولوية عموما له أهميته البالغة في دراسة أي علم من العلوم ، وهو عاملٌ ضروري في فهم أي علم وضبط مسأله.

ويُعرفُ هذا العلم بأنه ((علم يُعرَفُ منه أوائل الوقائع ، والحوادث ، بحسب المواطن والنسب ، وموضوعه وغايته ظاهرة ، وهذا العلم : من فروع التواريخ ، والمحاضرات ، لكنه ليس بمذكور في كتب الموضوعات؛ وقد ألحق بعض المتأخرين مباحث الأواخر إليه ، وفيه كتبٌ كثيرة))⁽¹⁾.

ولأهميته فقد اجتهد أهل العلم في التأليف والكتابة والجمع في هذا الباب منذ القرون الأولى ،

ومن تلك المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر :

1- الأوائل : لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت: 235) ، وهو جزء من مصنفه المشهور ، أفرد به ذكر مسائل الأولوية وأسهب في ذلك.

2- الأوائل : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنَوْرِيّ (ت: 276).⁽²⁾

الأوائل : لأبي بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحّاك بن مخلد الشيباني

⁽¹⁾ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : (199/1).

⁽²⁾ طبع في دار ابن كثير - بيروت - الطبعة الأولى : 1407هـ - 1989م.

3- (ت: 287). (3)

4- الأوائل: لأبي عروبة الحسين بن محمد بن مودود بن حماد السلمي الحراني (ت: 318). (4)

5- الأوائل: لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري (ت: 395). (5)

6- الأوائل: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360). (6)

7- إقامة الدلائل على معرفة الأوائل: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ). (7)

وغيرها من المؤلفات التي يطول سردها وذكرها. (8)

علاقة دراسة مسائل الأولية بالاعتقاد:

مما لا شك فيه أن كثيراً من مسائل الاعتقاد جاءت في النصوص الشرعية بلفظ الأولية، ومنها ما هو متعلق بأصول الإيمان؛ وأعظمها: الإيمان باسم "الأول" وصفة "الأولية" لله تعالى الذي هو جزء من الإيمان بالله.

وكذلك الإيمان بأن أول الأنبياء هو آدم عليه السلام وأول الرسل نوح عليه السلام جزء من الإيمان بالرسول.

وكثير من مسائل اليوم الآخر جاء ذكرها بلفظ الأولية، مثل أول من ينشق عنه القبر، وأول من يكسى يوم القيامة، وأول من يفيق بعد الصعق، وأول ما يحاسب عنه العبد، وأول ما يقضى فيه بين الناس.

وغيرها من المسائل الكثيرة المتعلقة بأصول الإيمان.

(3) طبع عدة طبعات، منها: طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت - الطبعة الأولى: 1425 هـ - 2005 م.

(4) طبع في دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003 م.

(5) طبع في دار البشير - طنطا - الطبعة الأولى: 1408 هـ - 1987 م.

(6) طبع في دار الرسالة - دار الفرقان - بيروت - الطبعة الأولى: 1403 هـ - 1983 م.

(7) غير مطبوع، ولكن ذكره مؤلفه في كتابه فتح الباري: (390/6)، وصاحب كشف الظنون: (199/1).

(8) للاستزادة: انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: (199/1)،

وكذلك من مسائل الأولوية الكبرى المتعلقة بالركن الأول من أركان الإسلام: مسألة أول واجب على المكلف، وهي المسائل التي حصل فيه خلاف بين أهل السنة وأهل البدع.⁽⁹⁾

ومن مسائل الأولوية ما وقع فيها خلاف بين أهل السنة في فهم النصوص الواردة فيها، كالخلاف بين أهل العلم في مسألة أول من يفيق بعد الصعق - كما سيأتي في البحث إن شاء الله-، والخلاف في أول مخلوقات الله هل هو القلم أم العرش؟ وغيرها من المسائل.⁽¹⁰⁾

ومن مسائل الأولوية في الاعتقاد ما يتعلق بالفرق والمقالات، وهذا باب مهم جداً يترتب على دراسته معرفة نشأة الفرق والمقالات ومدى تأثير بعضها على بعض، ونحو ذلك مما يكون له أثر نافع في فهم هذا الباب.

ومن مسائل الأولوية المهمة في باب الاعتقاد ما يتعلق بنبينا محمد ﷺ وما ثبت له من أولوية في الآخرة على سائر الخلق، منذ البعث والنشور إلى دخول الجنة - التي هي موضوع هذا البحث-، فجمع ذلك وتحريره وتمييز صحيحه من ضعيفه وذكر كلام أهل فيه كله من صميم مسائل الاعتقاد.

⁽⁹⁾ انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (327/3)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (444/3)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز: (ص: 27).

⁽¹⁰⁾ انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم: (6/1)، وكتاب العرش للذهبي: (310/1)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز: (ص: 242).

المطلب الأول: أولية النبي ﷺ عند النفخ في الصور والبعث من القبور.

المطلب الثاني: أولية النبي ﷺ في الشفاعة في موقف القيامة.

الثالث: أولية النبي ﷺ عندما يُنصَّب الصراط.

الرابع: أولية النبي ﷺ في استفتاح باب الجنة والشفاعة لأهلها في دخولها.

المطلب الأول: أولية النبي ﷺ عند النفخ في الصور والبعث من القبور.

إن أول أحداث اليوم الآخر بعدما تتقضي الدنيا وتكتمل أشراط الساعة الصغرى والكبرى النفخ في الصور، فيأمر الله ﷻ إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الأولى فيصعق الخلق أجمعون إلا من شاء الله، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68]، فيمكث الخلق ما شاء الله أن يمكثوا على تلك الحال، ثم يؤمر إسرافيل بالنفخة الثانية؛ وهي نفخة الفزع والبعث، ثم يُنزلُ الله ماءً من السماء فتتبت منه أجساد الخلق كما تتبت الحبة في حميل السيل، كما أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ"، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، "ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ"، قَالَ: "وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا؛ وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ" (11) وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (12).

وهذه المدة التي بين النفختين لم تأت رواية تحددها هل هي أربعون يوماً أو شهراً أو سنة؟ لذا امتنع أبو هريرة ﷺ من تحديدها؛ لأنها أمرٌ غيبي يُتوقف فيه على الوحي، وما ورد في تحديد هذه الأربعين فكله لا يصح. (13)

(11) العَجَبُ -السُّكُونُ-: هو العظم الذي يكون أسفل الظهر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (184/3).

(12) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب "أما من نر نز نم ن": (205/6)، برقم: (4935)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين: (210/8)، برقم: (7603)، واللفظ له.

(13) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: (91/18)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: (146/19).

وأما الأنبياء فإن الله تعالى قد حرّم على الأرض أن تأكل أجسادهم، فتبقى محفوظة حتى يُنفخ في الصور ويُبعث الخلق، ويدل على ذلك قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى النَّارِضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ" (14).

ثم بعد ذلك يأذن الله ﷻ بخروج الخلق من قبورهم للحساب والجزاء يوم القيامة، ويكون النبي ﷺ في مقدم الخلق؛ لما له من مكانة رفيعة عند الله تعالى، ويخصه الله تعالى في هذا الموقف العظيم بما لم يخص بها أحداً غيره؛ حيث يكون ﷺ أول من ينشق عنه القبر، وأول من يُبعث قبل جميع الخلق وسائر الأنبياء والرسل، ويدل على ذلك أدلة، منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَشْتَقُ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ" (15).

1- وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (16).

2- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ: فَإِنَّهُ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، -قَالَ- ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بَعَثَ أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بَعَثَ..." الحديث (17).

قال أبو العباس القرطبي⁽¹⁸⁾ -رحمه الله-: ((يعني: أنه أول من يُعجل إحياءه؛ مبالغاً في إكرامه، وتخصيصاً له بتعجيل جزيل إنعامه))⁽¹⁹⁾.

(¹⁴) أخرجه أحمد: (84/26)، برقم: (16162)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة: (279/2)، (1047)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة: (186/2)، (1085)، وصححه الشيخ الألباني: انظر السلسلة الصحيحة: (101/4)، برقم: (1527).

(¹⁵) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق: (59/7)، برقم: (6079).

(¹⁶) أخرجه أحمد: (10/17)، برقم: (10987)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل: (308/5)، (3148)،

(17) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: أُوْثِيَ فِي فِي قِي (4/193)، برقم: (3414)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل موسى ﷺ: (7/100)، برقم: (6300)، واللفظ له.

(18) هو: أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي، المعروف بابن المزين، إمام محدث، اختصر الصحيحين، من أشهر مؤلفاته: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، ولد في قرطبة سنة: (578هـ)، وتوفي في الإسكندرية في شهر ذي القعدة سنة: (656هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (473/7)، والأعلام للزركلي: (1/186).

(19) المَفْهَم لما أَشْكَل من تلخيص كتاب مسلم: (48/6).

وأما ورد في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ عندما يُفَيَّق بعد الصعق يجد موسى ﷺ أمامه أخذًا بقوائم العرش؛ فقد وجه العلماء تلك الأحاديث بعدة توجيهات، منها:

أولاً: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ إِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأَوَّلَى" (20).

فهذا الحديث قد بيّن العلماء أن الراوي أدخل حديثاً في حديث، ومن هنا نشأ الإشكال في هذه المسألة، فجملة: "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ" ليست من هذا الحديث، وإنما هو حديث آخر، فلما دخلت هذا الجملة في هذا الحديث التّبسّ المعنى. (21)

ثانياً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيْقُ، إِذَا مُوسَى بَاطَشَ جَانِبَ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَتْنَى اللَّهُ" (22)، وحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيْقُ إِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ" (23).

فهذه الأحاديث قد بيّن المحققون من أهل العلم على أن المراد بالصعق فيها هو صعق يكون في موقف القيامة عندما يتجلّى الله ﷻ لعباده، وليس الصعق الذي يكون حين النفخ في الصور النفخة الأولى، ويدل على ذلك ما يأتي:

أولاً: قوله ﷺ: "فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" يدل على أن الصعق يكون في موقف القيامة وليس حين يكون الناس في قبورهم، وهو عندما يتجلّى الخالق سبحانه لعباده للفصل والقضاء

(20) رواه البخاري: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود: (158/3)، برقم: (2412).

(21) وقد بسط القول في هذه المسألة ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: انظر فتح الباري: (445/6)، وانظر شرح الطحاوية: (ص: 412)، والروح لابن القيم: (ص: 37).

(22) رواه البخاري: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود: (158/3)، برقم: (2411)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ: (101/7)، برقم: (6302).

(23) سبق تخريجه.

والحساب، وجاء ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَذَرَّهُمْ حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: 45]، كما ذهب إلى ذلك جمع من أهل التفسير. (24)

وظاهر الحديث أن المراد بالصعق هنا، صعقة تغشى الناس يوم القيامة وليس عند النفخ في الصور. (25)

ثانياً: أن التعبير بلفظ "الإفاقة" وليس بلفظ "البعث" - كما في الأحاديث - يدل على أن هذا الصعق يكون في الموقف وتعقبه غشية وليس موتاً، إذ الإفاقة تكون من الغشية لا من الموت؛ وفي اللغة يقال: ((صَعِقَ الرَّجُلُ صَعْقًا: فَهُوَ صَعِقٌ إِذَا غُشِيَ عَلَيْهِ مِنْ صَوْتِ هَدَّةٍ يَسْمَعُهُ كَالرَّعْدِ وَنَحْوِهِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143]، وقيل: الصَّعِقُ هُنَا الْمَيِّتُ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ [الأعراف: 143] فلو كَانَ الْمَيِّتَ لِقَالَ: فَلَمَّا نُشِرَ أَوْ حَيًّا (26)، وفي ((قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ [الأعراف: 143] دليل على العُشْي؛ لَأَنَّهُ يُقَالُ لِلَّذِي غُشِيَ عَلَيْهِ وَالَّذِي يَذْهَبُ عَنْهُ قَدْ أَفَاقَ، وَقَالَ تَعَالَى فِي الَّذِينَ مَاتُوا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: 56]) (27).

ثالثاً: أنه قد ثبت أن موسى ﷺ قد مات وقُبر - كسائر الخلق -، كما قال ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج: "أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةً أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ" (28)، ((ونفخة الصعق إنما يموت بها من كان حياً في هذه الدار، فأما من مات فيستحيل أن يموت ثانياً، وإنما ينفخ في الموتى نفخة البعث وموسى قد مات، فلا يصح أن يموت مرة أخرى ولا يصح أن يكون مستثنى من نفخة الصعق لأن المستثنين أحياء لم يموتوا ولا يموتون ولا يصح استثناؤهم من الموت)) (29)، فدل على أنه صَعِقٌ يلحق أهل الموقف وليس عندما ينفخ في الصور. (30)

(24) انظر: تفسير الماوردي: (386/5)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: (181/4)، والروح لابن القيم: (ص: 37)، وتفسير القرآن العظيم: (438/7)، وشرح الطحاوية: (ص: 412).

(25) انظر: التنكرة: (ص: 460)، والروح: (ص: 35)، وشرح الطحاوية: (ص: 412).

(26) المخصص لابن سيده: (475/1) بتصرف يسير.

(27) تهذيب اللغة للأزهري: (122/1)، وانظر: لسان العرب لابن منظور: (198/10)، ومشارك الأنوار على صحاح الآثار للقااضي عياض: (48/2).

(28) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ: (102/7)، برقم: (6306).

(29) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (151/19).

(30) انظر: التنكرة بأحوال الموتى أمور الآخرة للقرطبي: (ص: 457).

وبهذا تجتمع الأدلة؛ فيكون النبي ﷺ أول من تتشقق عنه الأرض ويبعث بعد النفخ في الصور، وأما موسى عليه السلام فيكون أول من يفيق عندما يُصعق الخلق في موقف القيامة عندما يتجلى الرب جل جلاله لعباده، فتكون فضيلة له على سائر الخلق، والله أعلم.

المطلب الثاني: أولية النبي ﷺ في الشفاعة في موقف القيامة.

مما يَخَصُّ الله ﷻ به النبي ﷺ في موقف القيامة أنه ﷺ أول شافع في الآخرة؛ إذ لا يسبقه أحد من الخلق إلى الشفاعة عند الله تعالى لا ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسل، كما صرح بذلك النبي ﷺ فقال: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ" (31)؛ فأول شفاعة في الآخرة عند الله تعالى يكون النبي ﷺ هو الشافع فيها، وذلك عندما يشتد الكرب على أهل الموقف جميعهم مؤمنهم وكافرهم ولا يطيقون المكث والانتظار أكثر مما مضى فلا يجدون طريقاً ووسيلة للخلاص من هول ذلك الموقف إلا بطلب الشفاعة من خيرة الخلق عند الله تعالى ليخلصهم من شدة ذلك الموقف، فيذهبون إلى الأنبياء، فيعتذر كل نبي بعذر عن الشفاعة لهم عند الله ﷻ حتى ينتهي بهم الأمر إلى النبي ﷺ فيستجيب لهم ويشفع لهم عند الله سبحانه، ويكرمه الله بقبول شفاعته؛ فيكون ﷺ أول شافع ومشفع يوم القيامة. (32)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُجْمَعُ النَّاسُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، أَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ...

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَضَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ أَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَانْطَلِقْ فَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ

(31) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق: (59/7)، برقم: (6079).

(32) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروري: (8/3545)، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية: (ص: 267). وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: (ص: 205).

فَاقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تَعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ... (33).

وهذه الشفاعة أعظم الشفاعات، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]، وتسمى هذه الشفاعة أيضاً بالشفاعة العظمى؛ لأنها تشمل جميع أهل الموقف، ولأنها تكون في موقف مهول عظيم يهابه الخلق أجمعون. (34)

وأما ما ورد عن ابن مسعود ؓ أن أول من يشفع هو جبريل ﷺ، كما قال: "ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة، فيكون أول شافع روح القدس جبريل ﷺ، ثم إبراهيم - خليل الله -، ثم موسى، ثم عيسى -عليهما الصلاة والسلام-" قال: "ثم يقوم نبيكم رابعاً لا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذي ذكره الله تبارك وتعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]" (35)، فهو أثر موقوف مخالف للحديث المرفوع في الصحيح، ولم يصرح برفعه وضعفه الإمام البخاري (36).

المطلب الثالث: أولية النبي ﷺ عندما يُنصبُ الصراط.

من المواقف العvisية يوم القيامة عندما يُنصبُ الصراط، فتكون النار تحته، والقنطرة ثم الجنة بعده، وهو من آخر مواقف الآخرة وأشدها على الخلق، وقد أقسم الله ﷻ بأن يردّه الخلق دون استثناء حتى الأنبياء والرسل، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]، والمراد بالورود: هو العبور على الصراط من فوق جهنم، فينجوا المؤمنون ويسقط فيها غيرهم. (37)

(33) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب "أَنْزَلَ ثُمَّ نَزَلَ فِي نَبِيِّ بَرٍّ بَنِي (105/6)، برقم: (4712)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الإيمان، باب "أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا: (127/1)، برقم: (501).

(34) انظر: فتح الباري لابن حجر: (427/11)، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: (43/15)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (309/10)، وقاعدة جليبة في التوسل والوسيلة لابن تيمية: (ص: 2)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: (ص/ 464).

(35) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (131/14)، برقم: (37153)، والطبراني في المعجم الكبير: (354/9)، برقم: (6751)، والحاكم في المستدرک: (541/4)، برقم: (8519).

(36) انظر: مجمع الزوائد للهيتمي: (254/11)، وفتح الباري لابن حجر: (427/11).

(37) انظر: جامع البيان للطبري: (600/15).

وفي هذا الموقف الشديد يكرم الله النبي ﷺ وأُمَّتَهُ فيكون أول من يدخل الصراط ويجُوزُهُ إلى الجنة ومعه أُمَّتُهُ قبل جميع الأنبياء وأممهم (38).

ويدل على هذه الأولوية ما خرجهُ الشيخان عن أبي هريرة ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُضْرَبُ جَسْرُ جَهَنَّمَ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيْبُ (39) مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ (40)؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرِ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ: الْمُؤَبَّقُ (41) بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ (42)...)) الحديث (43)، وفي رواية لمسلم: "وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ" (44)، ويُجِيزُ -بضم الياء- أي: أول من يقطع الصراط ويمضي عليه ﷺ ومعه أُمَّتُهُ (45).

فيكون النبي ﷺ أول من يجوز الصراط من الأنبياء، وكذا أُمَّتُهُ هي أول من يجوز الصراط من الأمم.

وأما تقدم أمة النبي ﷺ على سائر الأمم فإنه قد يكون المعنى أنه أول من يجوز من الرسل، وأن أُمَّتَهُ أول من تجوز من الأمم، وهذا لا يلزم منه تأخر الأنبياء - عليهم السلام - عن أُمَّة النبي ﷺ في جواز الصراط.

ويحتمل أن يكون تَقَدُّمُ الأُمَّةِ تبعاً لتقدم الرسول من فضيلة الرسول لا من فضيلة الأمة.

(38) انظر: التنكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي: (ص: 740)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: (85/6)، وشرح النووي على مسلم: (20/3).

(39) جمع كَلُوبٍ -بكاف مضمومة مشددة، هو: الحديد مُعَوَّجُ الرأس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (195/4).

(40) هو نبت ذو أشواك من أجود مراعي الإبل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (367/2).

(41) أي: المهلك بسبب ذنوبه، يقال: وبِق، أي: هلك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: (146/5).

(42) قال ابن الأثير: ((هو المرمي المصروع، وقيل المقطَّع، تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار)). النهاية في غريب الحديث والأثر: (20/2).

(43) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار: (147/8)، برقم: (6573)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: (112/1)، برقم: (469).

(44) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: (112/1)، برقم: (469).

(45) انظر: فتح الباري لابن حجر: (452/11)، وشرح النووي على مسلم: (20/3).

أو يقال: أن اختصاص المفضل بفضيلة جزئية لمصلحة مصاحبة الأمم برسلها لا يضر في فضل الفاضل، والله تعالى أعلم. (46)

وعلى كل هذه الاحتمالات فإن الأولوية ثابتة للنبي ﷺ ولأُمَّته في عبور الصراط، والله أعلم.

المطلب الرابع: أولية النبي ﷺ في استفتاح باب الجنة والشفاعة لأهلها في دخولها.

عندما يعبر المؤمنون الصراط يحبسون في قنطرة بعد الصراط وقبل الجنة، فيقتص لبعضهم من بعض مما يكون في الصدور من الأحقاد والأضغان، وتكون أبواب الجنة حينئذ مغلقة بخلاف أبواب النار التي تكون مفتوحة ويقذف فيها الكفار مباشرة، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبُّكُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73]، فيذهب المؤمنون لطلب الشفاعة في فتح أبواب الجنة من الأنبياء: آدم ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى -عليهم الصلاة والسلام- فيعتذر كل منهم كما اعتذر عن الشفاعة العظمى (47)، ثم يأتون النبي ﷺ فيطلبون منه فيؤذن له، كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه (48).

ففي هذا الموقف العظيم يخص الله بها النبي ﷺ بهذه الأولوية فيكون ﷺ أول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها قبل سائر الخلق، وقد أمر الله خازن الجنة ألا يفتح بابها إلا له ﷺ.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ" (49)، فقله: "فَأَسْتَفْتَحُ" أي: أطلب فتح باب الجنة، وقوله: "بِكَ أُمِرْتُ": الباء سببية وقُدِّمَتْ للتخصيص، أي: بسببك أُمِرْتُ ألا أفتح باب الجنة لأحد غيرك. (50)

(46) انظر: حاشية السندي على صحيح البخاري: (1/138).

(47) انظر: تفسير ابن كثير: (7/119).

(48) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: (1/129)، برقم: (503).

(49) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا": (1/130)، برقم: (507).

(50) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (9/3672).

ولا شك أنَّ هذا فيه فضيلة عظيمة للنبي ﷺ حيثُ قَدَّمَ الأمر للخازن قبل مجيئ النبي ﷺ إليه بالألا يَفْتَح باب الجنة لأحد قبله، وأنه ﷺ هو أول من يُفْتَح له باب الجنة قبل الخلق أجمعين. (51)

وعن أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ" (52)، وعنه أيضاً ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "...وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَإِنِّي آتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَخْذُ بِحَلْقَتِهَا، فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، فَأَدْخُلُ..." الحديث (53).

وبعد استفتاح النبي ﷺ لأبواب الجنة يشفع لأهلها في دخولها فيدخلونها، وهذه الشفاعة خاصة به، فيكون ﷺ أول شفيع في الجنة، كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا" (54)، وفي رواية: "أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ..." (55).

قال أبو العباس القرطبي: ((أي: في دخول الجنة قبل الناس، ويدل عليه قوله: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ" (56)، وقول الخازن: "بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ" (57) ...

وقوله في الرواية الأخرى: "أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ" يمكن حمله على ما تقدّم، ويحتمل أن يراد به أنه يشفع في ترفيع منازل بعض أهل الجنة، والأوّل أظهر)) (58)(59).

(51) انظر: التتوير شرح الجامع الصغير للصفار: (187/1).

(52) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا": (130/1)، برقم: (505).

(53) أخرجه أحمد: (451/19)، برقم: (12469)، والبيهقي في دلائل النبوة: (479/5)، وصححه ابن حجر في المطالب العلية: (407/11)، والألباني في السلسلة الصحيحة: (145/4)، برقم: (1571).

(54) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا": (130/1)، برقم: (504).

(55) المصدر السابق: (130/1)، برقم: (506).

(56) سبق تخريجه/ ص22.

(57) سبق تخريجه/ ص21.

(58) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: (452/1)، بتصرف يسير.

(59) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: (ص: 206)، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول: (894/2).

وتكون أمته ﷺ هي أول الأمم دخولاً الجنة، كما صرح بذلك النبي ﷺ في قوله: "نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ"⁽⁶⁰⁾، فتكون تابعة له في هذه الأولوية وهذا الفضل، وقد حازت هذا الشرف لشرف نبيها ﷺ، ولأنها خير أمة أخرجت للناس.⁽⁶¹⁾

قال ابن القيم في نونيته:

((هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولًا خَيْرُ خَلْدٍ ... قِ اللَّهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ

وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ اللَّهِ ... فَضِيلُ تِلْكَ مَوَاهِبِ الْمُنَانِ

هذا وأمة أحمدر سباق با ... قبي الخلق عند دخولهم بجنان))⁽⁶²⁾.

وأما ما يروى في أولية دخول الجنة لغير النبي ﷺ فلا يثبت، مثل: "أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ الْمُمْلُوكُونَ"⁽⁶³⁾، و "أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ عَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ"⁽⁶⁴⁾، فهذه المرويات كلها ضعيفة ومخالفة لما ثبت في الصحيح، ومخالفة أيضاً لعموم الأدلة التي تدل على أفضلية النبي ﷺ على سائر الخلق وأوليته في الآخرة، والله أعلم.

⁽⁶⁰⁾ رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة: (6/3)، برقم: (2017).

⁽⁶¹⁾ انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي: (491/2).

⁽⁶²⁾ القصيدة النونية: (ص: 317).

⁽⁶³⁾ أخرجه أحمد: (191/1)، برقم: (13)، والبيهقي في شعب الإيمان: (300/13)، برقم: (10364)، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية، وقال: لا يصح. انظر: العلل المتناهية: (750/2)، وكذلك وضعفه ابن حجر في المطالب العالية: (204/12)، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب: (295/1)، برقم: (1571).

⁽⁶⁴⁾ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (101/11)، برقم: (8247)، والطيالسي في مسنده: (10/1)، برقم: (7)، وضعفه ابن حجر في المطالب العالية: (204/12)، والسيوطي في الجامع الكبير: (269/3).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات وفي ختام هذا البحث: أشكر الله ﷻ على ما منَّ به وتفضلَّ من إتمام

هذا البحث.

ثم إنني قد توصلت إلى نتائج وتوصيات خلال رحلتي مع هذا البحث، فمن تلك النتائج ما يأتي:

1- أن الاهتمام بدراسة مسائل الأولية من العلوم المتقدمة التي اهتم بها العلماء وألّفوا فيها المؤلفات منذ القرون الأولى وليس وليد القرون المتأخرة.

2- أن دراسة مسائل الأولية في أي علم العلوم مما ينبغي الاهتمام به لضبط مسأله إما من حيث نشأة المسائل أو نسبتها لقائلها أو الظروف والأسباب المتعلقة بها.

3- أن غالب مواقف الآخرة تكون الأولية فيها للنبي ﷺ لما له من منزلة رفيعة عند الله تعالى.

4- أن الأولية الثابتة في الأدلة للنبي ﷺ تكون في أربعة مواقف -بعد البحث والتتبع والاستقراء-: الأول: أنه أول من ينشق عنه القبر ويبعث يوم القيامة، والثاني: أنه أول شافع ومشفع في موقف القيامة -الشفاعة العظمى، والثالث: أنه أول يجوز الصراط، والرابع: أنه أول من يشفع في استفتاح باب الجنة ودخول أهلها فيها.

5- أنه -بعد التتبع والاستقراء- هناك موقفان في الآخرة تكون فيها الأولية لغير النبي ﷺ، وهما: أن أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، وأول يفيق بعد الصعق في الموقف موسى عليه السلام.

6- لم يرد أن أمة من الأمم تسبق أمة النبي ﷺ في شيء من مواقف القيامة، وإنما الذي ثبت في الأدلة أن أمة النبي ﷺ في أول الأمم عموماً في مواقف الآخرة.

7- أن موقف طلب الشفاعة من الأنبياء -آدم ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- كما حصل موقف القيامة يتكرر أيضاً عند استفتاح باب الجنة.

8- الاهتمام بدراسة مسائل الاعتقاد المتعلقة بخصائص وشمائل النبي ﷺ: لما فيها من أثر إيماني كبير على الباحث والقارئ.

9- دراسة خصائص النبي ﷺ في الآخرة من الموضوعات الثرية بالمادة العلمية والجديرة بالبحث والكتابة فيها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- **الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي (ت1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 1422هـ=2002م.
- 2- **الأوائل**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360)، دار الرسالة-دار الفرقان -بيروت- الطبعة الأولى: 1403هـ=1983م.
- 3- **الأوائل**: لأبي بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: 287)، دار البشائر الإسلامية -بيروت- الطبعة الأولى: 1425هـ=2005م.
- 4- **الأوائل**: لأبي عروبة الحسين بن محمد بن مودود بن حماد السلمي الحراني (ت: 318)، دار ابن حزم -بيروت- الطبعة الأولى: 1424هـ=2003م.
- 5- **الأوائل**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276)، دار ابن كثير -بيروت- الطبعة الأولى: 1407هـ=1989م.
- 6- **الأوائل**: لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري (ت: 395)، دار البشير -طنطا- الطبعة الأولى: 1408هـ=1987م.
- 7- **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ=2005م.
- 8- **تفسير ابن كثير** = تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- الرياض، الطبعة الثانية، 1420هـ=1999م.
- 9- **تفسير الطبري** = **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت310هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1422هـ=2001م.
- 10- **تفسير الماوردي** = **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.

- 11- التتوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني (ت182هـ)، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام-الرياض-، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م.
- 12- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.
- 13- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ=2000م.
- 14- جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ=1975م.
- 15- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ=1964م.
- 16- حاشية السندي على صحيح البخاري، لمحمد بن عبد الهادي السندي المدني الحنفي (ت1138)، دار الفكر.
- 17- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني البيهقي (ت458هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ-1984م.
- 18- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت.
- 19- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م.
- 20- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ=1995م.
- 21- سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ=2009م.
- 22- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ=2009م.

- 23- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت1089هـ)، تحقيق عبد القادر الأرنبوط وآخرين، دار بن كثير- دمشق، 1406هـ=1985م.
- 24- **شرح العقيدة الطحاوية**، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت792هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ=1998م.
- 25- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، دار المعرفة- بيروت، 1398هـ=1978م.
- 26- **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت256هـ)، دار الشعب- القاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ=1987م.
- 27- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الجيل بيروت- دار الأفاق الجديدة- بيروت، مصور من الطبعة التركية سنة 1334هـ.
- 28- **العرش**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: د. محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1424هـ=2003م.
- 29- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت855هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 30- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- 31- **فقه اللغة وسر العربية**، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت429هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1422هـ=2002م.
- 32- **قاعدة جلية في التوسل والوسيلة**، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت728هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان- عجمان، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.
- 33- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة (ت235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى، 1409هـ-1988م.
- 34- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: 1067هـ)، مكتبة المثنى - بغداد، 1360هـ=1941م.

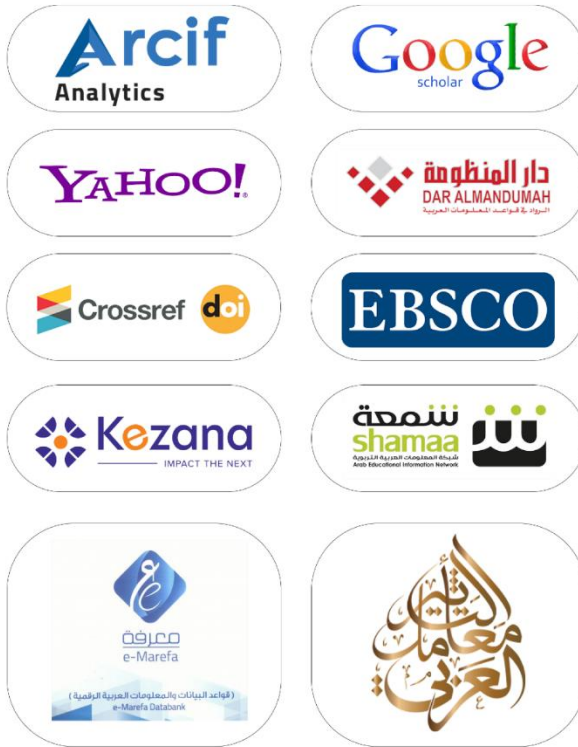
- 35- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ=1994م.
- 36- متن القصيدة النونية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الثانية، 1417هـ-1996م.
- 37- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي- القاهرة، 1414هـ، 1994م.
- 38- مجموع الفتاوى، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت728هـ)، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء- الاسكندرية، الطبعة الثالثة، 1426هـ-2005م.
- 39- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.
- 40- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري (ت1014هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م.
- 41- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ-1990م.
- 42- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ=2001م.
- 43- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت544هـ)، المكتبة العتيقة- دار التراث.
- 44- مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت235هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبله- المملكة العربية السعودية- مؤسسة دار القرآن- دمشق، الطبعة الأولى، 1427هـ=2006م.
- 45- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق: رسائل علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث- السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م.
- 46- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت1377هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم- الدمام، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.

- 47- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني (ت360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، الطبعة الثانية.
- 48- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت656هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.
- 49- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ - 1972م.
- 50- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي